المحور الثاني: المباحث النحوية والبلاغية في ضوء الإعجاز القرآني.

عنوان البحث: المفردة القرآنية ودورها في إثبات الإعجاز القرآني

الاسم: إسلام.

اللقب : ميلاط.

التخصص : بلاغة عربية.

الرتبة : طالب دكتوراه.

المؤسسة : المركز الجامعي (مغنية) تلمسان.

الهاتف : 0558 25 73 19

العنوان الالكتروني : milatislam682@gmail.com

المفردة القرآنية ودورها في إثبات الإعجاز القرآني

يروم هذا البحث الكشف عن خصائص بناء المفردة القرآنية، ودورها في الكشف عن إعجاز كتاب الله تعالى، فهي الأداة التعبيرية التي يتشكل بها البيان، وتتضح من ورائها المعاني، وقد توسل البحث بالمنهجين الوصفي والتحليلي، وخلص إلى نتائج من أهمها: أنّ القرآن الكريم كان دقيقا في اختيار كلماته وانتقاء ألفاظه، على حسب مواطن الكلام، ومواقعه، وموضوعاته، وحال السامعين، وهذا الاختيار للألفاظ يكون مناسبا للمعاني من حيث قوة

الإيحاء، وسهولة التعبير وانسجامه، أن كلّ لفظة وقعت في موقعها السديد، ومكانها الرشيد، أن المفردة القرآنية لا يمكن أن تستبدل كلمة في سياقها بأخرى خارج القرآن الكريم، أو حتى من القرآن الكريم نفسه، كما أن المفردات القرآنية ابتعدت عن الألفاظ الحوشية الثقيلة على السمع، والغريبة عن واقع الاستعمال اللغوي.

الكلمات المفتاحية : المفردة القرآنية، الاختيار، القرآن الكريم، إعجاز القرآن، الدلالات البلاغية.

توطئة :

الحمد لله وأصلي وأسم على الرحمة المهداة والنعمة المسداة، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله ومن تبعه واهتدى بهداه، وبعد:

لعل ما هو جدير بأن ننظر فيه من مكانة الكلمة القرآنية، كتاب البيان والتبيين، وذلك لما لهذا الكتاب من النفيس من مكانة في العربية أوجبها ما حواه من علوم اللسان العربي، فكان لما بعده من الكتب موردا تستقي منه، ومآلا تحتكم إليه في بابه.

ومما هو ذو صلة بموضوعنا ما ذكره الجاحظ عند كلامه عن المفردة القرآنية، حيث يقول: " ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال

القدرة والسلامة، وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث "[1].

لله در الجاحظ كم كان دقيق الحس، نافذ البصيرة، حين أدرك أن للقرآن الكريم عناية خاصة باختيار الألفاظ وتوظيفها، وذلك باعتبار " أنّ عمود هذه البلاغة هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، ذلك أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان الخطاب... والأمر فيها وفي ترتيبها عند العلماء وأهل اللغة بخلاف ذلك، لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا يشتركان في بعضها " [2].

وتسليما منهم بسحر بلاغة الكلمة القرآنية وإعجازها، عقد السيوطي بابا في الإتقان أسماه " ائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى " وذكر فيه كثيرا من أسرار إيثار بعض المفردات على غيرها، واستهله بقوله " أن الألفاظ يلائم بعضها بعضا بأن يقرن الغريب بمثله، والمتداول بمثله رعاية لحسن الجوار والمناسبة.... وأن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد، فإن كان فخما كانت ألفاظه فخمة، أو جزلا فجزلة، أو غريبا فغريبة، أو متداولا فمتداولة، أو متوسطا بين الغرابة والاستعمال فكذلك "[3].

إن المتدبر للكلام البليغ يلحظ أن عملية إجادته وتحسينه تبدأ من انتقاء الكلمات واختيارها، إذ هي اللبنات الأساسية في بناء صرح الكلام، ومن تأمل كلام الله يجد أنه بلغ أعلى مقامات البلاغة ومراتب الإعجاز في اختيار كل كلمة، ووضعها في مكانها المناسب.

يقول الزرقاني: " ومن شواهد ما نذكر أننا نلاحظ في كثير من ألفاظ القرآن أنها اختيرت اختيارا يتجلى فيه وجه الإعجاز من هذا الاختيار، وذلك في الألفاظ التي نمر بها على القرون والأجيال منذ نزل القرآن إلى اليوم، فإذا بعض الأجيال يفهم منها ما يناسب تفكيره ويلائم ذوقه ويوائم معارفه، وإذا أجيال أخرى تفهم من هذه الألفاظ عينها غير ما فهمته تلك الأجيال، ولو استبدلت هذه الألفاظ بغيرها لم يصلح القرآن لخطاب الناس كافة، وكان ذلك قدحا في أنه كتاب الدين العام الخالد، ودستور البشرية في كل عصر ومصر، فسبحان من أنزل هذا القرآن مشبعا لحاجات الجميع، وافيا تجارب الجميع، ملائما لأذواق الجميع، متفقا و معارف الجميع، مما يدل دلالة واضحة على أنه كلام الله وحده أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا "[4].

وقد تنبه لهذه الدقة المحكمة لألفاظ القرآن الرافعي، فقال: " أما ألفاظ هذا الكتاب الكريم فهي كيفما أدرتها وكيفما تأملتها، وأين اعترضتها في مصادرها أو مواردها ومن أي جهة وافقتها فإنك لا تصيب لها في نفسك ما دون اللذة الحاضرة والحلاوة البادية....، ولا يمنعك حروفها

---

[1] البيان والتبيين، الجاحظ، (1/ 41).
[2] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الخطابي، ص29.
[3] الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (3/ 299).
[4] مناهل العرفان، الزرقاني، 2/ 222.

وتباين معانيها وتعدد مواقعها من أن تكون جوهرا واحدا في الطبع والصقل، وفي الماء والرونق، كأنما تتلامح بروح حية ما هو إلا أن تتصل حتى تمتزج بروحك وتخالط إحساسك "[5].

إن الحديث عن المفردات القرآنية وأسرارها البلاغية حديث يطول ويتشعب، " ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسن في الاستعمال، وهما على وزن واحد، وعدة واحدة، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه بل يفرق بينهما في مواضع السبك، وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه وجل نظره "[6].

فالمفردة القرآنية بذاتها أو في سياقها الذي ترد فيه، لها دلالات تحملها لا تحملها في سياق آخر من القرآن، و ذلك " لأن معنى الألفاظ المفردة غالبا ما يكون عاما غامضا، ويتلاشى هذا الغموض في معاني الألفاظ المفردة إذا دخل اللفظ في ضمائم تركيبية تحدد معناه وتخصصه، ومن هنا يتولد من المعنى المعجمي للفظ معنى آخر يسميه سوفنسكي بالمعنى الراهن أو الحالي فالجمل يتبع بعضها بعضا وفقا لنظام سديد، بحيث تسهم كل جملة في فهم الكلمة التي تليها فهما معقولا، كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهما أفضل فالجملة في النص لا تفهم في ذاتها فحسب، وإنما تسهم الجمل الأخرى في فهمها " [7].

ولجلالة أسرار المفردات القرآنية، وعظيم أثرها في دلالة النص، سعينا للإجابة عن هذا التساؤل: ما هي مقاييس وخصائص بناء المفردة القرآنية؟ وما الأغراض البلاغية التي ترمي إليها في التعبير القرآني؟

أ ـ توظيف المفردات ذات الأوزان الثلاثية:

مما لا يكاد يخفى على من له أدنى بصيرة بالعربية أنّ أصل البنية في هذه اللغة الشريفة هو الوزن الثلاثي، إذ هو اليسير السهل المتداول والخفيف المستساغ على الألسن، وقد تجسد هذا الوزن في القرآن الكريم حيث وظف كل أوزانه العشرة والتي هي موجودة فيه وتختلف كثرة وقلة، وقد بلغ عدد جذورها 1616 جذرا، بينما نجد في المقابل قلة ورود صيغ الرباعي والخماسي وذلك لثقلها الملاحظ على اللسان، حيث بلغ عدد الأصول الرباعية 47 جذرا، وما كان خماسيا لم يتعد كلمة واحدة، يقول ابن جني: " ذوات الأربعة مستثقلة غير متمكنة تمكن الثلاثي... ثمّ لا شك فيما بعد في ثقل الخماسي وقوة الكلفة به "[8].

ويقول الدكتور عبد الفتاح لاشين: " القرآن الكريم على كثرة سوره البالغة أربعة عشرة سورة بعد المائة، منها الطوال البالغة حدّ الطول، والقصار البالغة نهاية القصر، والذي امتد زمن نزوله ثلاثة وعشرين عاما، وما حوى فيه من توحيد وعقائد، وفقه وأحكام، وتحريم وتحليل، وتشريعات وقوانين، ومغاز وسير، وقصص وأخبار، وعلوم ومعارف، فقد كان جلّ

---

[5] إعجاز القرآن، الرافعي، 241.
[6] المثل السائر، ابن الأثير، ج1ص 150.
[7] اللغة والإبداع الأدبي، محمد العبد،ص35 - 36.
[8] الخصائص، ابن جني، 61/1.

استعمال القرآن في هذا كلّه، للكلمات الثلاثية في الأفعال والأسماء مجردة ومزيدة، بل تكاد تكون كل ألفاظه هكذا.

أمّا الأفعال الرباعية المجردة فقد جاء منها فعل واحد في القرآن الكريم، وعلى صورة واحدة في موضعين:

أ ـ في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩ العاديات9.

ب ـ وقوله تعالى: " وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ٤.

وبعض أفعال من من مضعّف الرباعي، مثل زلزل، و وسوس، ويرى الكوفيون أنّ نحو " زلزل " ثلاثي مزيد، لا رباعي مجرد. أمّا الأسماء الرباعية المجردة فقد جاء منها في القرآن ستة أسماء على مثال جعفر(برزخ، وسرمد)، وعلى مثال برثن(زخرف وسندس)، وعلى مثال زبرج بالتاء(سلسة وشرذمة) ولم يقع في القرآن من غير التاء.

والاسم الخماسي المجرد لم يقع في القرآن الكريم منه شيء.

والاسم الرباعي المزيد بحرفين غير المشتق، جاء منه في القرآن ثلاثة ألفاظ، وهي(العنكبوت)وقد كررت في آية واحدة في قوله تعالى: مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ٤١ العنكبوت 41 ، وزمهريرا وقمطريرا في قوله تعالى: (إنّا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا)، (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا)، والاسم الخماسي المجرد لا يزاد عليه إلا حرف مدّ قبل الآخر، وجاء منه في القرآن لفظان، وهما (زنجبيل، وسلسبيل) في قوله تعالى: " وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا١٧ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا١٨ الإنسان17 - 18.

والاسم الرباعي المزيد بحرفين، والخماسي المزيد بحرف، اجتمع من النوعين أربعة ألفاظ في سورة الإنسان(آيات(10،13، 17، 18) وهي قمطريرا، وزمهريرا، وزنجبيلا، وسلسبيلا، فلم كان هذا؟ ولم اختصت هذه السورة بهذه الألفاظ ؟ الله أعلم بأسرار كتابه.

فاستعمال القرآن الكريم للألفاظ الزائدة على ثلاثة أحرف قليلة جدا، بالنسبة لما استعمله من الألفاظ الثلاثية، وذلك حتى تكون الكلمة طيبة المجرى على اللسان، خفيفة في الفم، تقع على السمع أحسن موقع وأجمل مسمع"[9].

ب ـ الملائمة الواضحة بين الألفاظ والمعاني:

لقد أشار غير واحد من المشتغلين بالدراسات القرآنية وعلى رأس هؤلاء المفسرون إلى أنّ اللفظة القرآنية بلغت الصورة المثلى في ملاءمتها للسياق المناسب لها، وبهذه الخصوصية بلغت قمة الإعجاز البلاغي، يقول ابن عطية الأندلسي في مقدمة تفسيره " المحرر الوجيز ": " ووجه إعجازه أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما، وأحاط بالكلام كلّه علما، فإذا ترتبت

[9] صفاء الكلمة في التعبير القرآني، عبد الفتاح لاشين، ص 13 - 14 .

اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره.

والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يصنع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولا كاملا، ثم تعطى لآخر نظيره فيبدل فيها وينقح، ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل، وكتاب الله لو نزعت منه لفظة واحدة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد... "[10].

ويقول أبو سليمان الخطابي: " اعلم أنّ عمود هذه البلاغة ... هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إمّا تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإمّا ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، ذلك أنّ في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنّها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح..والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء اللغة بخلاف ذلك، لأنّ لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعضها " [11].

وحتى نتبين ملامح الدقة في الألفاظ القرآنية، وخصائصها الصوتية وإشعاعاتها الدلالية، فلنتأمل الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة، ومن هذا القبيل كلمتا: القعود والجلوس.

فقد روي أنّ أحدهم دخل على المأمون، فقال: اجلس، لكنه استمر واقفا، قال اجلس مرتين أو ثلاث، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنما يكون الجلوس بعد اتكاء، وإنما يكون بعد القيام القعود، وهو يشير إلى الحديث: " وجلس وكان متكئا "[12].

يقول فضل حسن عباس: " المتأمل لآي القرآن الكريم، واستعمال هاتين الكلمتين، يدرك روعة العربية من جهة، وإعجاز الكتاب الخالد من جهة ثانية، فالقعود إنّما يستعمل لما فيه لبث ومكث، أمّا الجلوس فيستعمل فيما ليس كذلك. قال تعالى: " والقواعد من النساء " النور60، " وقيل اقعدوا مع القاعدين " التوبة46، " في مقعد صدق عند مليك مقتدر" القمر55، " وأنّا كنا نقعد منها مقاعد للسمع " الجن9، وهذا يبين حرصهم على استراق السمع.

أمّا مادة : جلوس، فلم تأت إلا في قوله تعالى: " إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم " المجادلة11، وهذه المجالس عادة لا يطول المكث فيها، ومنه الحديث الشريف: " مثل الجليس الصالح والسوء "[13] والحديث الآخر " إياكم والجلوس على الطرقات "[14].

---

[10] المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص38 - 39.

[11] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص29.

[12] صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب الشهاداتـ باب ما قيل في شهادة الزور، مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة.

[13] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك.

[14] المرجع نفسه، كتاب المظالم، باب أفنية الدور والجلوس فيها.

ومن أسرار العربية أنّ (القاف، والعين، والدال) تدل على اللبث والثبات، فمنها مادة قعد التي تحدثنا عنها من قبل، والدقعاء: للتراب الكثير الدائم الذي يبقى في مسيل الماء، ومنه: العقد الذي يستعمل لعقدة النكاح، العقيدة: وهي قضايا ثابتة.

أمّا (الجيم، واللام، والسين) فعلى العكس من ذلك، ففيه الحركة، ومنه: السجل للشيء المتحرك الذي لا يبقى عند صاحبه.والطريف أنهم ضموا عين المضارع في قولهم: يقعد وكسروها في قولهم: يجلس، والكسرة أخف من الضمة، فاستعملوها لما فيه الحركة، واستعملوا الضمة لما فيه المكث "[15].

ج ـ الدقة في اختيار المفردات وحسن ترتيبها:

فقد جاءت مفردات القرآن العظيم في أعلى درجات الحسن البياني، بل إنّها بلغت قمة الغاية والروعة، فإنّ المتأمل في الألفاظ القرآنية يجدها متعانقة متماسكة، آخذا بعضها بأعناق بعض حتى إنّك لتراها سلسة رقيقة عذبة متجانسة، أو فخمة جزلة متآلفة، فالكلمات متآخية متجاوبة جرسا وإيقاعا ونغما، متلاقية منسجمة معنى ودلالة وتأثيرا نفسيا و وجدانيا، على أروع مستوى يطيق البشر تصوره، وإنّما قصدت كل كلمة فيه بذاتها لما تشع به من مغزى، وتحققه من تجانس وائتلاف، فلو استبعدتها لم تقدر أن ترصف مكانها كلمة أخرى تقوم مقامها، ويستحيل أن تستغني عن كلمة منه دون إخلال بالمعنى المقصود من الآية، فكلّ كلمة تنبض في شرايين الكلام مغزى جديدا لا تبثه غيرها، فمهما كرّرت تلاوة القرآن المجيد فلن تقف فيه على تزيّد أو نقص أو ترادف في الكلمات، فلا مترادف في القرآن[16].

وقد توقفّ الرافعي متأملا في السبك المحكم والترتيب العجيب للألفاظ في قوله تعالى: فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ١٣٣ الأعراف133 فقال: إنّها خمسة أسماء، أخفها في اللفظ " الطوفان، والجراد والدّم " وأثقلها " والقمّل والضفادع " فقدّم " الطوفان " لمكان المدّين فيها، حتى يأنس اللسان بخفتها، ثمّ " والجراد " وفيها كذلك مدّ، ثم جاء باللفظين الشديدين مبتدئا بأخفهما في اللسان وأبعدهما في الصوت لمكان تلك الغنة فيه، ثم جيء بلفظة " والدم " آخرا، وهي أخفّ الخمسة وأقلها حروفا، ليسرع اللسان فيها ويستقيم لها ذوق النّظم ويتمّ بها هذا الإعجاز في التركيب.

وأنت فمهما قلّبت هذه الأسماء الخمسة، فإنك لا ترى لها فصاحة إلاّ في هذا الوضع، لو قدّمت أو أخرت لبادرك التّهافت والتعثر، ولأعنتك أن تجيء منها بنظم فصيح، ثمّ لا ريب أحالك ذلك عن قصد الفصاحة وقطعك دون غايتها[17].

هذا وقد نبّه القرآن الكريم إلى الدقة في التعبير والإحكام فيه، حتى لا يصّح أن يقع لفظ مكان آخر فتضل المعاني بين الاحتمالات، وذلك حين أمر الأعراب أن يقولوا " أسلمنا " بدلا من " آمنا " في قوله تعالى: " قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ

---

[15] لمسات ولطائف من الإعجاز البياني للقرآن الكريم، فضل حسن عباس، ص 94 ـ 95.

[16] المعجزة الخالدة، ضياء الدين عتر، ص261.

[17] إعجاز القرآن، الباقلاني، 235.

أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاًۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ١٤ الحجرات14 ، حتى تقع الكلمة على معناها الحقيقيّ دون تحريف.

ومن البديع في هذه الآية أنّ الله سبحانه وتعالى بعد أن أغلظ عليهم وجهّلهم بعدم الدقة في استعمال الكلمات في محلها، أدخل على الكلام شيئا من المحاسن، وستر الغلظة بنوع من اللطائف، فأتى بأداة الاستدراك، فقال: ولكن قولوا أسلمنا " فلو اقتصر على ما دون الاستدراك، لكان في الكلام تنفير لهم وإساءة، فأوجبت البلاغة، وحسن التلطف، ذكر الاستدراك، ليعلم أنّ الإيمان موافقة القلب للسان، وإن انفرد اللسان بذلك يسمى إسلاما، ولا يسمى إيمانا، وزاد ذلك إيضاحا ولطفا، فقال: " ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم "[18].

وبهذا الاعتدال الحكيم، والميزان الدقيق، جاءت ألفاظ القرآن الكريم مطابقة لمعانيها، وقد ذهلت ألفاظ الكتاب العزيز فطاحل العلماء، واستولت على عقولهم وألبابهم، قال الراغب الأصفهاني:" ألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب، وزبدته، وأنّ ما عداها وعدا الألفاظ المشتقات فيها كالقشور والنوى بالنسبة إلى أطايب الثمر، وكالحثالة والتبن بالنسبة إلى لبوب الحنطة، وقد أحاط الله ـ جلّ شأنه ـ باللسان العربي، فمخضه، وألقى زبدته في كتابه الكريم، وقرآنه العظيم "[19].

ويؤكد ابن أبي الأصبع المصري على أهمية اللفظ وقيمته في كلام المتكلم، وأنّه بمنزلة الفريدة من حبّ العقد، وإذا سقطت هذه اللفظة من كلام عزّت على الفصحاء غرابتها، ثمّ ينبه إلى أن هذا كثير في القرآن الكريم، فيقول: " فقد جاء من ذلك في الكتاب العزيز غرائب، لا يقع مثلها لمخلوق، وهي من الكثرة في القرآن بحيث يعسر حصرها.

منها قوله تعالى على لسان امرأة العزيز: " ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ ٥١ يوسف51 ، وقوله تعالى على لسان إخوة يوسف: " فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ٧٠ يوسف80 ، فألفاظ هذه الجملة كلّها من هذا الباب، وأجزلها قوله: " استيأسوا " وأفصحها قوله: " خلصوا نجيا ".

ثمّ يقول ابن أبي الأصبع، ولقد رأيت بعض الشعراء المحدثين ضمّنها شعرا له، فأتى له من الوقع في النفوس ما لا تطيق الألسن الفصيحة أن تعبّر عنه، فقال هذا الشاعر:

أجيرتنا بالغور كيف خلصتم نجّيا، وأخفيتم حديثكم عنّي

لقد سمعت أذناي نجوى فراقكم فلا أبصرت عيناي ما سمعت أذني

فتأمل هذا الشعر الذي يجيد اللبيب لسماعه نشوة، وما ذاك إلاّ أنّه ألقى على شبه ألفاظه إكسيرا من لفظة القرآن، فصار ذلك الشبه تبرا خالصا، ومزج باطله بحقه "[20].

---

[18] صفاء الكلمة في التعبير القرآني، عبد الفتاح لاشين، ص8.
[19] مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، المقدّمة.
[20] بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، 287.

يقول الدكتور حسن عتر: " اشتمل القرآن على أفصح ألفاظ العربية وأعذبها، وإنّ هذه الألفاظ، وإن كانت معهودة استعملها العرب قبل الإسلام وبعده، فإنّ القرآن قد فاق جميع كلامهم وعلا عليه علوّا شامخا، وما ذاك إلاّ لحسن السبك وروعة التأليف، فقد تحسن الكلمة في مورد ويتألق فيه جمالها، لتعانقها مع ما حولها، بينما تبرز شوهاء شنيعة في موضع آخر، ذلك أنّ تناسب الكلام عائد إلى دلالات الألفاظ ومزاياها، وخفتها ورقتها أو فخامتها وجزالتها، إنّ مراعاة هذه الأسرار والدقائق في استعمال الألفاظ على الوجه الأكمل الذي درج عليه القرآن من أوّله إلى آخره أمر متفوق تعجز عنه الملكات الأدبية والقدرات البشرية "[21].

وقد ضرب ابن الأثير مثلا لدقة القرآن في اختيار كلماته، فقال: " قد جاءت لفظة واحدة في آية من القرآن وبيت من الشعر، فجاءت في القرآن جزلة متينة، وفي الشعر ركيكة ضعيفة، فأثّر التركيب فيها هذين الوصفين الضدّين، أما الآية فهي قوله تعالى: " فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ٥٣ الأحزاب53. وأما بيت الشعر فهو قول أبي الطيب المتنبي:

تلذّ له المروءة وهي تؤذي ومن يعشق يلذّ له الغرام

وهذا البيت من أبيات المعاني الشريفة، إلاّ أنّ لفظة " تؤذي" قد جاءت فيه وفي الآية من القرآن، فحطّت من قدر البيت لضعف تركيبها، وحسن موقعها في تركيب الآية "[22].

والحاصل أنّ المفردات التي تألفت منها الآيات القرآنية، تنفرد بجمال أثرها على السمع، واتساقها الكامل مع المعنى، حتى لكأنك تلاحظ منها المعنى المراد وتشم رائحته، بل إنك تلمح فيها صورة المضمون شاخصة أمام العين.

د ـ قوة الإيحاء وسهولة المفردة:

تختار اللفظة القرآنية اختيارا يكون عجيبا، بحيث تكون مناسبة للمعنى المراد، كما يكون لها في الوقت نفسه مقابل دلالي تدل عليه بجانب المعنى الرئيس الذي أدته أصالة، ولننظر في قوله تعالى: " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا " النساء36، وقوله تعالى: " قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا " الجن20، فقد تبدو أنّ الكلمتين شيء واحد، تستويان في تأدية المعنى لا تفضّل إحداهما عن الأخرى، ولكن دقّة النظر والفهم عن أنّ لكلّ كلمة منها موضعها المناسب، ومكانها اللائق، وأنّ أختها لا تسدّ مسدّها، فكلمة " شيئا " تناسب الآية الأولى، لأن المقام أمر بعبادة الله، ونهي عن الشرك في دية صورة من صور الإشراك، وهي كثيرة ومتعددة، فالأصنام والكواكب، والحيوان كلّ هذه أشياء كانت تعبد، فجاء النهي عن عبادتها جميعا وكلمة " شيئا " هي التي تجمعها لا كلمة " أحدا " وكلمة " أحدا " تناسب الآية الثامية، لأنّ المقام مقام دعاء وتوجّه إلى الله وحده، وقد قصر النبي هذا الدعاء على ربه

---

[21] المعجزة الخالدة، ص259.

[22] انظر، المثل السائر، ابن الأثير، 145/1.

وأكدّه، فنفى الشرك عن الله في التوجه والدعاء، والظنّ الخاطئ في هذه المشاركة يتجه إلى الأشخاص لا إلى الأشياء، ولذلك كانت كلمة " أحدا " هي اللائقة بهذا الموضع[23].

وهكذا إذا نظرنا إلى كلمة " زرتم " في قوله تعالى: "حتى زرتم المقابر " التكاثر2، يقول الآلوسي مبينا المعنى المضمر للفعل (زرتم): " وفي ذلك إشارة إلى تحقيق البعث، يحكى أنّ أعرابيا سمع ذلك فقال بعث القوم للقيامة ورب الكعبة فإن الزائر منصرف لا مقيم، وعن مر بن عبد العزيز أنّه قال لا بدّ لمن زار أن يرجع إلى جنة أو نار وفيه أيضا إشارة إلى قصر زمن اللبث "[24].

التشقيق اللفظي لمفردات لم تستعملها العرب قبل اصطلاحه:

من أبرز خصائص المفردات القرآنية أنها استعملت ألفاظا لم يستعملها العرب، على الرغم من معرفتهم لمادة هذه الألفاظ واشتقاقاتها، ومن هذه الألفاظ المبتكرة لفظة النفاق، فالمعنى الأصلي في الاصطلاح الذي استعمل القرآن فيه هذا اللفظ هو ستر الكفر وإظهار الإسلام، ولكن الذوق اللغوي للعربي يجعل مدلولات المادة واشتقاقاتها كلها تتداعى في نفسه، لتقترن بالنفاق والمنافق، أو ما يناسبهما من اشتقاقات المادة حين يسمع وصف شخص بالنفاق حيث تتوارد على نفسه الاستعمالات الأخرى للمادة، والتي تدور حول المراوغة وضعف الحال، ويلتصق ذلك كله بالمنافق.

ونجد مثلا لفظ الفسق يصف به القرآن بعض أعدائه ومنهم المنافقون، كقوله تعالى: سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ٦ المنافقون6 ، فالمعنى الرئيس في وصفهم بالفسوق، هو الخروج عن الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه العبد، وهو الإيمان بالله، ولما كان الفسوق متضمنا معنى الخروج، فالأصل فيه أن يكون له متعلق يتعدى إليه بـ " عن " فكان المنتظر أن يقال: الفاسقون عن كذا، ولكن حذف المتعلق بالإضافة إلى وضوحه يوحي بترك المجال مفتوحا أمام نفس السامع من أن تفهم أو تتصور خروجهم عن أكثر من شيء في نطاق ما يتفق مع لسياق بالإضافة إلى إيحاءات المادة بإيحاءات أخرى تناسب السياق وتدعمه[25].

لا ترادف بين مفردات القرآن:

من المعلوم أن قضية الترادف في البيان القرآني كانت موضع خلاف بين أئمة اللغة وعلماء الدراسات القرآنية، فقد ذهب فريق منهم إلى القول بوجود الترادف في اللغة ومن ثم وجوده في القرآن، بينما اتجه فريق آخر إلى نفي وجوده في اللغة والقرآن، وتوسط فريق ثالث فقال بوجوده في اللغة ونفى وقوعه في القرآن.

ولعل جلّة العلماء من المتقدمين والمتأخرين يرون بعدم وجود الترادف في القرآن الكريم، وذلك لما بين ألفاظه فروق دقيقة في دلالاتها، فتراه يوظف كل مفردة بدقّة بحيث تؤدي

---

[23] أساليب البيان في القرآن، جعفر السيد الحسني، ص181.
[24] روح المعاني، الآلوسي، (15/ 452).
[25] أساليب البيان، ص182.

معناها المراد بإحكام شديد، يكاد السامع يؤمن بأن هذا المكان خلقت له هذه الكلمة يعينها، وأن كلمة أخرى لا تؤدي المعنى الذي أفادته أختها[26].

اختار القرآن الكريم كما سبق القول ألفاظه، وانتقى كلماته، فأورد كل كلمة في مكانها المناسب ببراعة فائقة، والتزم الدقة في مراعاة دلالة الألفاظ، وإيرادها مواردها، بطريقة تعجز عنها الخلائق، وقد نبّه الجاحظ إلى ذلك فقال: " وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أنّ الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر؟ والناس لا يذكرون السغب، ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة.

وكذلك ذكر المطر فلا نجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة، وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر، وذكر الغيث.

ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين، ألا تراه لا يجمع الأرض على أرضين، ولا السمع على أسماع، والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر، وأولى بالاستعمال[27].

ويحسن بنا هنا أن نقدم مثالا على الألفاظ القرآنية المتقاربة المعنى، وذلك من خلال لفظتي الجبل والعَلَم، فقد استعملت اللفظتان كل منهما مشبها به في سياق البحر، فالسفن شبهت بالأعلام، والموج شبه بالجبال، قال تعالى: " وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام " الرحمن24، وقال أيضا: " وهي تجري بهم في موج كالجبال " هود42.

يقول فضل حسن عباس مبينا السرّ وراء استعمال كل لفظ في موضعه: " وما أجمل التعبير، وأعظم الروعة، حيث استعمل العلم في مقام الإنعام والآلاء، وفيه من الإيناس ما لا يخفى، واستعمل الجبل في مقام الشدة والبطش.وما دمنا قد تحدثنا عن البحر فإننا نجد أن الكتاب الكريم استعمل كلمة اليم، وهي كلمة يظهر أنها مشتركة بين العربية والفرعونية، لذا لم يستعملها القرآن إلا في شأن موسى عليه السلام وقوم فرعون، قال تعالى: " فأوحينا إلى أمّ موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليمّ " القصص7".[28]

التوازن في حجم اللفظ القرآني مع سياقاته:

عدّ ابن سنان الخفاجي من شروط فصاحة الكلمة أن تكون معتدلة غير كثيرة الحروف، فإنها متى زادت على الأمثلة المعتادة قبحت وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة، ولكن طول اللفظة مع فصاحتها ميزة في فصاحة الأسلوب القرآني، واختيار اللفظ في سياق يتلاءم وطول اللفظة ويستوعبها.

ومن أمثلة ذلك كلمة " فأسقيناكموه " في قوله تعالى: " وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ٢٢ الحجر22، وكلمة "

---

[26] ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، عبد الفتاح لاشين، ص 127.

[27] المرجع نفسه، ص 126.

[28] لمسات ولطائف من الإعجاز البياني، فضل حسن عباس، ص104.

أنلزمكموها " في قوله تعالى: قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ٢٨ هود28،وكلمة " ليستخلفنهم " في قوله تعالى: " وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ٥٥ . وقوله تعالى: " فسيكفيكهم الله" البقرة 137.

وقد قدّم الرافعي دليلا على حسن طول بعض ألفاظ القرآن، فقال: " وقد وردت في القرآن ألفاظ هي أطول الكلام عدد حروف ومقاطع مما يكون مستقلا بطبيعة وضعه أو تركيبه، ولكنا بتلك الطريقة التي أومأنا إليها قد خرجت في نظمه مخرجا سويا، فكانت من أحضر الألفاظ حلاوة وأعذبها منطقا وأخفها تركيبا، وإذ تراه قد هيّأ لها أسبابا عجيبة من تكرار الحروف وتنوع الحركات، فلم يجرها في نظمه إلا وقد وجد ذلك فيها كقوله تعالى: " ليستخلفنهم في الأرض " فهي كلمة واحدة في عشرة أحرف وقد جاءت عذوبتها من تنوع مخارج الحروف ومن نظم حركاتها، فإنها بذلك صارت في النطق كأنها أربع كلمات، إذ تنطق على أربعة مقاطع، وقوله تعالى: " فسيكفيكهم الله " فإنها كلمة من تسعة أحرف وهي ثلاثة مقاطع وقد تكررت فيها الياء والكاف، وتوسط بين الكافين هذا المدّ الذي هو سرّ الفصاحة في الكلمة كلّها "[29].

كما أشار الدكتور أحمد ياسوف إلى موضع الكلمة الطويلة في الجملة، وهذا مقياس له أثره في تحسين اللفظ وتقبيحه، أضف إلى هذا أن الكلمات لا ينظر إليها منفصلة عن سياقاها، بل ينظر إليها حالة تركيبها مع نظيراتها، فإن تجاورت الكلمات الطويلة مع بعضها البعض، أذهبت رونق التركيب وأنقصت فصاحته، يقول مبينا هذا المعنى: " ونحن لا نريد أن نعد حروف كلمات القرآن، بل نريد وقعها على الآذان، وملاءمتها للمقام، ومخزونها الوجداني، ولهذا ربطنا طول الكلمة القرآنية بطبيعة الحروف، وبتوزيع الحركات، وبيّنا علاقة هذا بمضمون الآية كلها، وكذلك بينا قيمة الصيغة الجمالية، وتفرد هذه الصيغة بمعان سامية، ودلائل فنية رفيعة من اختزان المعاني الكثيرة، وموائمة الموقف"[30].

الفرائد:

لعل من أهم خصائص بناء المفردة القرآنية اعتمادها على نوع لطيف من الكلام، بحيث يتنزل منزلة الفرائد من العقد، وهي اصطلح عليه بـــ" الألفاظ الفرائد " ويقصدون بها مجموعة الألفاظ التي ذكرت مرة واحدة في القرآن، ولا يوجد لها نظير، كما أنها يتكرر جذرها اللغوي على أي صورة من الصور، من حيث هيئتها وصيغتها ومادتها، وهذا الباب مختص بالفصاحة دون البلاغة، يقول السيوطي في الإتقان: " الفرائد مختصة بالفصاحة دون البلاغة لأنها الإتيان بلفظة تتنزل منزلة الفريدة من العقد وهي الجوهرة التي لا نظير لها تدل

---

[29] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، ص 229.
[30] جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، ص 185.

على عظم فصاحة هذا الكلام، وقوة عارضته، وجزالة منطقه، وأصالة عربيته بحيث لو أسقطت من الكلام عزت على الفصحاء غرابتها "[31]، ومنه لفظ " حصحص " و" استيئسوا " و " نجيا " و" فزع " وغيرها من الألفاظ التي لم تتكرر في القرآن.

كما أشار ابن الأثير إلى الغرض وراء التعبير بلفظة " ضيزى " وهي إحدى الفرائد القرآنية، فقال: " حضر عندي في بعض الأيام رجل متفلسف، فجرى ذكر القرآن الكريم، فأخذت في وصفه، وذكر ما اشتملت عليه ألفاظه ومعانيه من الفصاحة والبلاغة، فقال ذلك الرجل وأي فصاحة هناك، وهو يقول: " تلك إذا قسمة ضيزى " فهل في لفظة ضيزى من الحسن ما يوصف؟ فقلت له: اعلم أن لاستعمال الألفاظ أسرارا لم تقف عليها أنت ولا أئمتك، مثل ابن سينا والفارابي، ولا من أضلهم مثل أرسطاليس وأفلاطون وهذه اللفظة التي أنكرتها في القرآن وهي لفظة " ضيزى " فإنها في موضعها لا يسد غيرها مسدها، ألا ترى أن السورة كلها التي خي سورة النجم مسجوعة على حرف الياء،فقال تعالى: " وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ٢ ، وكذلك إلى آخر السورة، فلما ذكر الأصنام وقسمة الأولاد وما كان يزعمه الكفار، قال: أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ٢٢ فجاءت اللفظة على الحرف المسجوع الذي جاءت السورة جميعها عليه، وغيرها لا يسد مسدها في مكانها، وإذا نزلنا معك أيها المعاند على ما تريد قلنا: إن غير هذه اللفظة أحسن منها ولكنها في هذا الموضع لا ترد ملائمة لأخواتها ولا مناسبة، لأنها تكون خارجة عن حرف السورة، وسأبين ذلك فأقول: إذا جئنا بلفظة في معنى هذه اللفظة قلنا: قسمة جائرة أو ظالمة ولا شك أن (جائرة) أو (ظالمة) أحسن من " ضيزى " إلا أنا إذا نظمنا الكلام فقلنا: (ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى) لم يكن النظم كالنظم الأول وصار الكلام كالشيء المعوز الذي يحتاج إلى تمام، وهذا لا يخفى على من له ذوق ومعرفة بنظم الكلام، فلما سمع ذلك الرجل ما أوردته عليه ربا لسانه في فمه إفحاما، ولم يكن عنده في ذلك شيء سوى العناد الذي مستنده تقليد بعض الزنادقة الذين يكفرون تشهيا،ويقولون ما يقولونه جهلا، وإذا حققوا عليه ظهر عجزهم وقصورهم "[32].

كما تحدث الرافعي عن سرّ التعبير بكلمة " ضيزى " على ما يقاربها من ألفاظ، فقال: " في القرآن لفظة غريبة هي من أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه، وهي كلمة " ضيزى " من قوله تعالى: " تلك إذا قسمة ضيزى "، ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه، ولو أدرت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها، فإن السورة التي هي منها ـ وهي سورة النجم ـ مفصلة كلها على الياء، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل، ثم هي في معرض الإنكار على العرب إذ وردت في ذكر الأصنام، وزعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله مع وأدهم البنات، فقال تعالى: " أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ٢٢ فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها "[33].

---

[31] الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي،2/ 250.

[32] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، ص 176 -177.

[33] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، ص241 -242.

مخالفة الوضع اللغوي:

هناك من الكلمات ما لم يجر على الوضع (القياس) من حيث الصياغة، وهي مع ذلك فصيحة لأنها وردت في استعمال العرب، وكذلك وردت في القرآن الكريم، من ذلك مثلا كلمة: (أبى) فإن القياس فيه أن يقال يأبِي، لأن فعل المفتوح العين لا يأتي مضارعه على يفعَل بفتحها إلا إذا كانت عينه أو لامه حرف حلق، ك(سأل ـ يسأل) و(منع ـ يمنع) وليس (أبى ـ يأبَى) من هذا القبيل، إذا ففتح عين مضارعه مخالف للقياس وهو مع ذلك فصيح، لموافقته ما ثبت عن الواضع، فقد ورد في قوله تعالى: " ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره " التوبة32.

ومن ذلك كلمة (استحوذ) في قوله تعالى: ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ١٩ " وقياسه (استحاذ) ولكنه فصيح في القرآن على الرغم من مخالفته القياس، أما في غير القرآن الكريم فهو مما يخلّ بالفصاحة.

ويلاحظ أن فك الإدغام الذي جعله البلاغيون مخلا بفصاحة الكلمة من خصائص لهجة الحجاز، بينما نجد الإدغام من خصائص لهجة تميم، وقد ورد القرآن الكريم باللهجتين، بل غلبت لهجة الحجاز فيه، نحو قوله تعالى: " إن تمسسكم حسنة تسؤهم " آل عمران120، وقوله: " ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى " طه81، وقوله: " واغضض من صوتك " لقمان19، وقوله: " ولا تمنن تستكثر "المدثر6 "[34].

ومما جاء على لهجة تميم، قوله تعالى: " من يرتد منكم عن دينه " المائدة54، وقوله: " ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب " الحشر4.

والحاصل أن فك الإدغام ليس أمرا شاذا عن قواعد الصرف، فهو لا يعد عيبا قادحا في فصاحة الكلمة، ولا سيما أنه جاء في القرآن الكريم، وإجماع العلماء منعقد على أن الكلمة إذا وقعت في القرآن فهي أفصح من تلك التي لم ترد في غيره.

خاتمة:

كان من النتائج التي تأدت إليها هذه الدراسة:

1 ـ إن المفردة القرآنية اختيرت اختيارا يتضح فيه وجه الإعجاز، بحيث لا يمكن أن تستبدل كلمة في سياقها بأخرى خارج القرآن الكريم، أو حتى من القرآن الكريم نفسه، مما يدل على أنه كلام الله وحده، أنزله بعلمه، والملائكة يشهدون، وكفى بالله شهيدا.

2 ـ ابتعدت المفردات القرآنية عن الألفاظ الحوشية الثقيلة على السمع، والغريبة عن واقع الاستعمال اللغوي، وفي المقابل تألفت من مفرداته من أصوات يستريح لتناسقها الصوت والسمع والنطق.

---

[34] رشفات من رحيق البيان القرآني، يحي الغوثاني، ص189.

3 ـ إن القرآن قد استعمل الكلمات الثلاثية الجذر وغير الثلاثية، إلا أن الملاحظ أن استعمال الثلاثية أغلب، فمجموعها ألف وستمائة وستة عشر جذرا ثلاثيا، في حين أن ما فوق الثلاثي بلغ سبعة وأربعين جذرا، أكثرها رباعي.

4 ـ تثير المفردات القرآنية إيحاءات دلالية لا يمكن أن توجد خارج الذكر الحكيم، وذلك مثل: الكوثر، زقوم، غسلين، ضيزى، سقر، سلسبيلا، يصطرخون، ضريع، سجيل، غاسق، عليين.

5 ـ القرآن الكريم معجز بسبب فصاحة ألفاظه، فقد نسجت في منتهى ما تسمح به اللغة العربية من دقائق ولطائف.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبوعثمان الجاحظ. "البيان والتبيّين". تحقيق: عبد السّلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي، ج1، ط7، 1418 هـ ـ 1998م.
2. ابن الأثير، ضياء الدّين. "المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر". تحقيق: أحمد الحوفي و بدوي طبانة. القاهرة: دار نهضة مصر، 1960م.
3. ابن عطية الأندلسي. "المحرر الوجيز". تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422ه.
4. ابن الأصبع المصري. "بديع القرآن". الطبعة: نهضة مصر.
5. الرافعي، مصطفى صادق. "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية". بيروت، لبنان: دار العربي، ط9، 1393 هـ - 1973م.
6. العبد، محمد. "اللغة والإبداع الأدبي". القاهرة: دار الفكر، ط1، 1989م.
7. السيد الحسني، جعفر. "أساليب البيان في القرآن". مؤسسة بوستان كتاب، ط1، 1387ه.
8. الآلوسي، محمود. "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني". مكة المكرمة: المكتبة التجارية الباز، ط1414ه - 1994م.
9. البخاري، محمد بن إسماعيل. "صحيح البخاري". القاهرة: مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده.
10. الزرقاني، عبد العظيم. "مناهل العرفان في علوم القرآن". مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط3.
11. السيوطي، جلال الدين. "الإتقان في علوم القرآن". القاهرة، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
12. العتر، ضياء الدين. "المعجزة الخالدة". بيروت، لبنان: دار البشائر الإسلامية، ط3، 1415ه - 1994م.
13. النّجار، محمد علي. "الخصائص". بيروت: عالم الكتب، ط3، 1983م.
14. الأصفهاني، الراغب. "مفرادات ألفاظ القرآن". تحقيق: صفوان داوودي. دمشق: دار القلم، ط2، 1418ه - 1997م.
15. عباس، فضل حسن. "لمسات ولطائف من الإعجاز البياني للقرآن الكريم". عمان: دار النفائس، ط1، 1437هـ - 2016م.

16. عباس، فضل حسن. "لمسات ولطائف من الإعجاز البياني". الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1، 2016م.
17. لاشين، عبد الفتاح. "ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن". بيروت، لبنان: دار الرائد العربي، ط1، 1402ه -1982م.